اضطهاد / ك. صلاح الدين الرختوني

(القصة من وحي الخيال و ليست من أحداث حقيقية)

بسبب الأزمة السورية و بعد أن أصبحت الحياة بسوريا صعبة و أصبحت حياة المواطن السوري بين ضيق العيش و ويلات الحروب ، و خطر الاعتقال و التعذيب لمجرد الاشتباه في إنه له علاقة بأي أمر سياسي .. و غالباً ما يدفع ثمن هذه الأزمات هو المواطن البريء الذي لا يعنيه سوى أن يمر يومه على خير دون أن يمس دمه أو عرضه أو ولده ..

بدأت أحداث الأزمة السورية في مُنتصف شهر مارس عام ألفين و إحدى عشر عند خروج مظاهرات في مُدن سورية عِدة للمُطالبة بإطلاق الحريات و إخراج المعتقلين السياسيين من السجون و رفع حالة الطوارئ ، ثم مع الوقت ازداد سقف المطالب تدريجياً ليصل إلى المطالبةِ بإسقاط النظام بالكامل و هذا ما أشعل فتيل حرب أهلية مُستمرة إلى يومنا هذا ... ! حيث تدور هذه الحرب بالدرجة الأولى بين قوات النظام و قوات المعارضة المسلحة إلى جانب التنظيمات ذات الفكر المتطرف ! .. كما أن لجهات خارجية متعددة نصيب في هذه الحرب و بسبب ما يحدث من ويلات الحرب و التي أقل ما يقال عنها أنها مأساة إنسانية ... ففي أرض أصبح الأمن فيها شبه منعدم ، و أصبح نظامها يشكل أكبر تهديد على سلامة مواطنيها بدل من حمايتهم ، فكل هذا سيساهم

في حملات نزوح بحثاً عن ملاذٍ آمِن يشعر فيه المواطن السوري بالأمان على نفسه و عرضه و يجد بهِ العمل و الرزق .. ليبدأ الشعب السوري في اللجوء لبلدان العالم ، وَ لمصر نصيب ملفت في استقبال اللاجئين السوريين حيث تستضيف مصر أكثر من ستة وعشرون ألف

شخصًا من طالبي اللجوء المسجلين و يشكل السوريين

الغالبية الساحقة منهم ، و برغم أن مصر تعاني من عدة أزمات كباقي بلدان هذه الأمة التى جارا عليها الزمن لتصبح في درك الحضارة و في مؤخرة الأمم .. لكن طابع الشعب المصري المحب و الطيب

فقد رحب أهل مصر باللاجئ السوري و وجد المواطن السوري بمصرَ وطناً بديلًا ..

لكن لا بُد من أن يصادف السوريين بعض الذين لا يمثلون مصر و أهلها الطيبين بكل تأكيد

الذين قد لا يعاملوا اللاجئ بمودة و قد يصيبه منهم سوء معاملة ! و قد يكون هذا ليس لسوئهم

و لكن لظروف معينة فالمجتمعات التي تعاني من ضيق في المعيشة من الطبيعي أن تبدأ أخلاقيات

أصحابها في التدهور ما لم يكن لديهم استشعار بمراقبةِ الله تعالى لهم و مبادئ راسخة و تابثة

كانت شروق السيد عبد المُعطي المرأة المصرية ذات الأربعين من العُمر و هي أرملة تعيش برفقة بنتها ولاء البالغة من العمر منتصف العشرينات ، و بعد وفاة زوجها اتجهت إلى العمل

تعديل من خلال WPS Office

لتأمن احتياجتها و احتياجات أسرتها و لحسن حظها كان لزوجها بيتًا مِلكهُ ما لم يجعلها تعاني من ثمن الإيجار .. و بعد أن توفى زوجها و ضاقت بها السبُل خرجت للعمل خادمةً في البيوت تارةً و العمل في التنظيف في الشركات أو المستشفيات و ما شباه تارةً أخرى .. و كان الحمل يزيد و الدنيا تشتد على شروق كباقي المواطنين المصريين يومًا بعد آخر ... و بالعمارة التي تعيش بها شروق السيد عبد المُعطي .. يعيش طارق فتح الله كاتب صحفي مهتم بقضايا الآمة..

و كعادته يستيقظ طارق كل صباح باكراً ليبدأ في كتابة خواطره و مقالته قبل أن يخرج للعمل في مقر أحد الجرائد المصرية .. و كل ما يشغله هو الأزمة السورية

في ذلك الصباح استيقظ طارق و جلس على مكتبه .... و بدأ يكتب خواطره كالعادة و تحدث في أول خاطرة عن الأزمة السورية أسبابها ، أركانها و ما يعانيه المواطن السوري بسبب هذه ،ألحرب الأهلية .. حتى شعر طارق بأن الوقت سيسرقه عن ميعاد التحاقه بعمله فحمل لوازم عمله و خرج مسرعاً في نفس الوقت الذي خرجت فيه شروق متجهةً إلى عملها حيث كانت ذاهبةً في ذلك اليوم إلى أحد الشركات التي تعمل فيها كعاملة نظافة .. خرجت شروق ذلك الصباح

من منزلها الذي في الطابق الثاني يقابل منزل طارق في نفس اللحظة التي خرج فيها طارق يسرع الخُطى .. تبادلا تحية الصباح ليتجه كل منهم إلى وجهته ...

في أحد الأحياء القديمة في قلب القاهرة و في غرفة فوق سطح أحد العمارات كانت تعيش رهف أبو فاتح إمرأة سورية أرملة في منتصف التلاتينات برفقة طفلها زياد ذو التمان سنوات .. حيثُ استيقظت رهف ذلك الصباح على طرقات تكاد تقتلع الباب من مكانه ،ركضت رهف لتفتح فإذا بها تتفاجأ بأنه " الحاج ياسين " صاحب العمارة و معه فتحي بواب العمارة و رجلين ضخام الجثة .. أخاف هذا رهف التي كانت تعلم أن ياسين قد جاء لطردها فهي لم تستطيع أن تدفع له إيجار الغرفة منذ تلاث أشهر بعد فشلها في إيجاد عملٍ في مصر ... تملكت رهف نفسها محاولة

أن تهدأ ولا تُبدي خوفها لياسين و من معه و بدرت بتحية ياسين الذي قطعها و قال لها أنه لم يأتي ليحييها بل أتى للاستلام ثمن تلاث أشهر من الإيجار فقد طفح الكيل و لم يعُد يمكنهُ الإنتظار أكثر .. صراخه في وجهها كان يراه طفلها زياد الذي قد بلل نفسهُ خوفاً فهو لديه مشكلة نفسية قد دمرت نفسيته و أفقدته النُطق من الرعب الذي عاشه بسوريا .. !

بدأت رهف بالتواسل لياسين ليمهلها بعض الوقت حتى تجد عمل و ستسدد لهُ كل مستحقاته .. لكن ياسين لم يَكن يصغي لها فقد أمر الرجلين اللذان معهُ بأن يخرجا من الغرفة لوازم و ملابس رهف ... نظرت رهف

تعديل من خلال WPS Office

إلى فتحي الذي كان يقف ناظراً إلى الأرض يغطيه الخجل و الحزن مما يحدث ! بينما أمر ياسين رجالهُ بأن يرموا كل ما يخص رهف خارج الغرفة ....

لم تجد رهف مكاناً تذهبُ إليه .. جلست بابنها أمام العمارة باكيةً ذهب كلٌ لحال سبيله إلا فتحي بواب العمارة الذي وجعهُ وضع رهف فأتصل بابنة خاله و التي هي شروق و هو لا يعلم ما يقول و لكن قلبهُ أوجعه على رهف التي كانت تجلس في الشارع بأبنها ! و الدموع لا تفارق عينيها ...

أتت شروق مسرعةً تاركة عملها تلبيةً للإتصال فتحي ، و مرت على مكان جلوس رهف و ابنها في حضنها

أثر جلوسهما انتباه شروق و أحزنها منظر بُكاء رهف .. لكنها حاولت تجاهلهما بسبب أنها استأذنت من الشركة التي تعمل فيها عاملة نظافة لحظات و استقلت سيارة أجرة و أتات لفتحي

شرح فتحي لشروق وضع رهف .. و هو متردد بينما كانت شروق تتألم لما تسمع ، فقررت أن تأخد رهف معها إلى بيتها دون تفكير أو تردد ... فاتجهت شروق إلى مكان جلوس رهف برفقةِ فتحي الذي عرفهن على بعضهن البعض و عينيها تلمع كمن تركض لتحتضن أختها بعد طول سفر و غياب .. أخبر فتحي رهف بعد التحية أن شروق من عائلته و وفقت أن تصتدفها عندها إلى أن تجد مأوى لها أو يُحدث الله أمراً ...

استبشرت رهف بالخبر خيراً و حييت شروق و شكرتها ، أما شروق فكانت تنظر لها و لطفلها بحنين و اشتياق و كأنها هي من تحتاجهم اختلط عليها شعور الفرحة و شعور الحزن على ما فيه رهف

بينما كان زياد إبن رهف يقف إلى جانبها ، هدأت رهف

و مسحت دموعها و بعد أن تعرفن على بعضهن البعض و تحدثن لحظات لم تكن كافية ليتعرفن على بعضهن البعض بسبب أن شروق كانت تحتاج أن تعود لعملها .. فكل ما قالته رهف كان تعبيراً لها عن الإمتنان و العرفان كما شكرت فتحي ذلك الرجل المسن الذي برغم بساطتهِ و أميَتهِ إلا أنه ذو معدن أصيل و طيب لا يمكن أن يرى أحداً في ضيق ولا يمد لهُ يد العون !

أخدت شروق رهف و صغيرها زياد معها إلى البيت و هي مستعجلةً للعودةِ إلى عملها قبل أن يعلم مدير الشركة فهي قد أستأذنت من أحد المواظفين أن تخرج لحظات

فما إن وصلت برهف و صغيرها إلى أمام البيت حتى فتحت و نادت بسرعةٍ على إبنتها ولاء التي خرجت تلبيةً لنداء والدتها .. فأخبرتها شروق بعد أن عرفتها برهف و أخبرتها أنها ستقيم معهم حتى تجد مأوى هي و صغيرها ...

و ما إن تكلمت رهف و علمت ولاء أنها سورية و علمت أنها ستقيم معهم

حتى تقطب وجه ولاء و طلبت من والدتها أن يتحدثن بمفردهن و انصرفت إلى الداخل .. قلقت شروق من تصرف ابنتها التي لم تحيي رهف أو ترحب بها حتى !

تعديل من خلال WPS Office

و لكن شروق حاولت عدم إظهار إنزعاجها أمام رهف فتبسمت لتطمئنها و استأذنتها بعد أن طلبت لها أن ترتاح و دخلت بسرعة خلف ابنتها ولاء ، و ما إن شرحت لها وضع رهف حتى ثارت ولاء في وجه والدتها مستنكرةً إحضارها لرهف و ابنها إلى البيت !

فهن لا يعرفنها فكيف يسكنّها معهن على حسب رأي ولاء ... فأخبرتها شُروق أنها من طرف فتحي و هي تحتاج مساعدة ..

و شروق ليس من عادتها أن تترك من احتاجها و هي في مقدورها مساعدته " فالرسول صلّى اللهُ عليه وسلم قال : من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته "

حاولت ولاء الاعتراض بل و استنكرت ما فعلهُ فتحي و الذي أسمتهُ بالورطة

لكن شروق حسمت الموقف و أخبرت إبنتها ولاء أن هذا قرار محسوم و أجبرتها

على أن ترضخ للأمر الواقع ، و انطلقت شروق مسرعة عائدةً لعملها و هناك أول ما فعلته أن

طلبت من مدير أن تعمل رهف معها في الشركه و بوساطة أحد المواظفين تمت الموافقة

على ذلك ..

أما رهف فلم تتحرك من المكان الذي جلست فيه حتى غرقت في النوم على أحد الكنبات

و أثناء نومها روضها ذلك الكابوس الذي كلما أغمضت عينيها جاء ليذكرها بتلك الحادثة التي أفقدتها

معنى الحياة ... فأشد ما يؤلم في هذا الكابوس هو أنه ليس أضغاط أحلامٍ بل هو ذكرى

مؤلمة ، إنها ذكرى اليوم الذي اعتقلت و اتهمت بالإنظمام " لتنظيم إرهابي " و هناك

لم يكتفوا المحققون بضربها بل " هُتِك عرضها " مرات عدة دون رحمة .. بل كادوا يسكروا عظامها

بفعل ما يسمي " بساط الريح "

و من ذلك اليوم كل ما أغمضت عينيها يحضرها مشهد المحقق الذي قام بشق ملابسها و لحظات صراخها

مقاومةً دون جدوى !

استيقظت رهف صارخةً مما أرعب ولاء التي تجلس بقرب منها و هي تشاهد التلفاز

برفقةِ زياد !

انهرت رهف باكيةً بسبب ما يحرق قلبها من حسرة و ألم ! ، سألتها ولاء التي أقلقها

ذلك المنظر فرهف كانت منذ لحظات هادئة و تغوط في نومٍ عميق !

حاولت ولاء تهدأتها و سألتها ما بها لكن رهف لم تبوح بشيء بل كانت طوال الوقت

تقسم باكيةً أنها قاومت بكل ما أتيت من قوة !

كان زياد ينظر لوالدته بخوف .. مما أثر انتباه ولاء فطلبت من رهف أن تهدأ كي لا تخيفَ

زياد .. نظرت رهف إلى ولاء بعد أن هدأت نوعاً و حكت رهف فقالت فيما مضمونه

تعديل من خلال WPS Office

أثناء خروجها من إدلب ذاهباً إلى درعا حيث بيت أختها و على أحد الحواجز الأمنية التابعة للنظام اعتقلتها

الشرطة بعد أن طلبوا منها الهوية

و بعد نظر الشرطي للهوية قاموا بقتيادها إلى مركز الشرطة و هي لا تعلم ما الذي يحدث .. و لكن كل ما كان يقلقها هو وضع إبنها ذو الست سنوات و لكن كانت تطمئن نفسها بكونه مع أهلها .. سألها المحقق عن مكان ما أسماهم بالإرهابيين أكدت للمحقق

أنها لا تعرف أي شيء و أنها لا علاقة بأي شيء ... ليقرر المحقق وضعها على ما يسمى " بساط الريح " و هو لوح خشبي قابل للطي ... و ضُربت و صرخت إلى أن أغميَ عليها في اليوم التالي .. تم إخراجها من زنزنتها الانفرادية و أخدها لغرفة التحقيق ليبدأو في سؤالها نفس الأسئلة ، أكدت أنها لا تعلم شيء عن أي شيء !

لتتفاجأ بالمحقق و هو يقوم بتمزيق ملابسها محاولا ً اغتصابها ، قاومته بكل ما أتيت من قوة لكنه كان أقوى منها .. و منذ ذلك اليوم لم يتوقف الجنود عن اغتصابها هي و كل زميلتها المعتقلات !

فكثيرات منهن خرجنَ حوامل من المعتقل ، و بعد أن تم إطلاق سراحها ذهبت لبيت أهلها

لتحتضن إبنها و والديها و إخوانها ، لتتفاجأ بأن أهلها أصبحوا يراونها عارً عليهم فقد أصبحت منبوذةً بينهم تعبت من نظرتهم و نظرة الناس خافت من أن يقتلوها ليتخلصوا من عارها حسب تفكيرهم .. !

لم تجد ولاء

قولا ً ترد به بل كانت الدموع تنهمر من عينيها من هول الصدمة !

في المساء و بعد العشاء و أثناء جلوسهن بصالة البيت و بعد أن أنهت شروق صلاتها .. نظرت إلى رهف التي كانت تجلس و هي شاردةً من ألم ماضيها و حاضرها و خوفٍ من مستقبلها !

أوجع شروق منظر رهف التي قد شحب و بهث لونه من إرهاق التفكير ...

إلتفتت شروق إلى زياد

فإذا بزياد إبن رهف يجلس ناظراً لوالدته و علامات الملل واضحة عليه

و حاولت شروق فتح حوار مع زياد لتخرجهُ من مله

لكن زياد لم يرد بل استمر في النظر بنظرات شاردة ، تجاهلت شروق زياد ظنًا منها أنهُ فقط لم يرد لأنه غير متعود عليها فمن الطبيعي أن يخجل !

فجلست شروق بجانب رهف و ربتت على كتفها طالبةً منها أن تنسى همها

" فما اشتدت إلا لتفرج "

تعديل من خلال WPS Office

نظرت رهف إلى شروق و أخبرتها ..

أنه يُقال أن " المرأة إذا مات زوجها كسر ضهرها "

و كسرتها الحياة و أضافت أن لو كان زوجها معها لكانت مصيبتها أهون ، فتذكرت

شروق زوجها فذهبت بأنظارها نحوى صورته المعلقةِ على الجدران متحسسة بحنين لذكراها فقالت

لِرهف فيما مضمونه أنها تفهم وضعها فمنذ أن توفى زوجها و هي تشعر أنها في حالة

حرب مع الحياة بل أصبحت تخاف من القادم ، ثم سألت رهف هل زوجها مات قريباً ....

فأعادت لرهف ذكرى من الذكريات التي تسعى جاهدةً لأن تتخلص منها

لكن لم يكن عند رهف حل سوى أن تتكلم لعلى حديثها يخفف عنها ما تحملهُ من هموم

ذلك اليوم الذي كان بسنة ألفين و أربعة و أثناء حملها بطفلها ذهبت لزيارة منزل أهلها

و أثناء عودتها قابلت صديقةً لها على مقربةٍ من منزلها و وقفت تتحدث لها حتى قطع حديثهن صوت الضربات

الصاروخية فإذا بصديقتها تنبهها رغم فزعهن أن الصواريخ سقطت بالشارع الذي فيه منزلها .. وقتها لم تعد

رهف تقوى على المشي ركضت مسرعه و إحساس أنها لن ترى زوجها " أحمد " مرة أخرى و هو ما يسيطر

على مخيلتها .. ركضت إلى بيتها لكنه لم يَكن موجودًا مكانه ! و لم تكون ترى شيئًا بسبب الدخان و العُبار

الكثيف فأصبحت تلتمس برجليها الأرض قبل أن تطأها أقدامها خشية أن تطأ أحداً ... حتتى صدمت رجلها

بشيء شعرت أنه إنسان حاولت أن تعود له لتتأكد منهُ لكن لم يكن ذلك ممكنًا بفعل الدخان الكثيف

الذي يحجب الرؤية كليًا .. فجلست بجانب الشيء !

منتظرةً أن ينقشع الغبار و ما إن انقشع العُبار حتى ظهرت ملامح " أحمد" زوج رهف !

بسبب ضغط انفجار الصاروخ طارت جثتهُ من البيت إلى الشارع !!!!!!

ما كان يجمع بين رأسهِ و جسدهِ إلا قليل و تكاد تفصلُ رأسه عن جسمه .. !

حاولت رهف أن تصرخ وقتها و لم تستطيع و بقيت تحت تأثير هول الصدمة لأيام طويلة ...

كانت شروق تسمع ما ترويه رهف ولا تجد ردًا فحاولت أن تجعلها تنسى الأمر ..

فأخبرتها أن تحمد الله أن خلصها من سجون الطغاة و لعلى غدًا يكن الفرج فما اشتدت أزمة

إلا للاقتراب انفرجها انفرجها و ما تجبر و اعتلى مجرم إلا ليكون سقوطه مؤلمًا

أضافت شروق أن غدًا يجب على رهف مرافقتها إلى الشركة التي تعمل بها فقد وفق المدير

أن يعملن مع بعضهم البعض

مما خفف على رهف همها و شعرت أن هناك سند يفكر لمصلحتها

فشكرت شروق !

تعديل من خلال WPS Office

و في تلك الليلة كان كان طارق قد أنهى مقالهُ ..

و قد أضاف " مرت إثنة عشر سنة على اندلاع الحرب الأهلية السورية ، خسر خلالها معظم السوريين أرواحهم و أعراضهم و كان لنساء سورية النصيب الأكبر من الأذى على يد مجرمي هذه الحرب الفاقدين للدين للإنسانية فعلى مرأى و مسمع من العالم تجلد و تغتصب و تهان المرأة السورية ، هناك سؤال لم أجد لهُ جوابًا ..

أين مؤسسات المجتمع المدني و مؤسسات حقوق الإنسان

ممن يدافع عن حقوق المرأة "

لماذا لا نرى أي نسويةٍ ممن يحاربون أعراف و أصول المجتمع الإسلامي ولا يراون حقًا للمرأة غير حق الانحلال مدعيين الدفاع عن حقوق المرأة ، لماذا لم نسمعهم يومًا يسلطون الضوء عما تعانيه المرأة السورية في سجون الطغاة و خارجها .. و ما تعانيه المرأة الفلسطينية سواء كانت محاصرةً في غزة أو تهان و ينكل بها في رحاب مسرى رسول الله عليه الصلاة و السلام .. و غيرهن من نساء المسلمين التي لا يراون ظلمًا يقع على المرأة العربية إلا سترها و حجابها ... !

و لكن لو مات ضمير العالم فإنّ الله تعالى بعدله لا يموت و إنما دولة الظلام ساعة و دولة الحق إلى يوم الساعة ..

الخاتمة

للكاتب صلاح الدين الرختوني

تعديل من خلال WPS Office

الكاتب صلاح الدين الرختوني ..

كاتب سيناريست مغربي من مواليد 15أغسطس 2002

بقرية سيدي المختار بإقليم شيشاوة

عاشق لكتابة القصة و السيناريو و صناعة الأفلام كتابياً

من أهم أعماله التي يعتز و يفتخر بها كتاب " بوصلة انتماء "

الذي سلط فيه الضوء على الوضع الفلسطيني من عدة جوانب

أهمها قيمة فلسطين الإسلامية فهي قلب الأمة النابض الذي

لا حياة للأمة بدونه ..

الكاتب صلاح الدين الرختوني ... 2022

تعديل من خلال WPS Office

تعديل من خلال WPS Office